Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفهم ما انطق به الروائي بطله من قول، نصّه: "أصبحتْ هذه اللؤلؤة روحي، إذا تخلّيْتُ عنها سأفقد روحي"(ص٨١).

وكلّ ما تقدّم يُحيل إلى الاستنتاج أنّ بطلَ رواية (اللؤلؤة) يجسّد فكرة إيجابية، لا فكرة سلبية، فكرة صدامية تُعلي شأن الإرادة، وتعدّها ميزة الإنسان الكبرى، وتقدّس طموح البشر، وتجعل منهُ الشرط الذي يعلو به الإنسان على غيره من الكائنات، كما قال الكاتب في تعليقه على طموح (كينو).

إنّ (كينو) صاحب تلك الإرادة وذاك الطموح قد شاكسته الأقدار وعاندته الظروف، ولكنه لم يَستَخذِ، ولم يرضخ، هاجمه اللصوص والمارقون، فتصدّى لهم، وثبّطتْ همّته زوجُهُ (جوانا)، فلم يستجبْ لها. حاول التّجار خداعهُ والتآمر الدنيء عليه، فأبى خداعهم ورفض تآمرهم، ولم يقبل أن يكون ضحية جشعهم.لاحقهُ قصّاصُو الأثر، وأرادوا انتزاع (كنزه) من بين يديه، فكرّ عليهم وفتك بهم، وعاد أخيراً إلى قريته يحمل بندقية "هي أكثر أحلام يقظته توهّجا، وأكثرها بهجة"، وبسبب تلك البندقية الرمز أوحى لنا الكاتب، بأن نفهم من بين سطوره، أنه لن يكون في القرية لصوص بعد، ولن يكون هناك أعداء، أو خوف، أو قلق! وأنّ حُرْمةَ (كينو) و(جوانا) لن يقع التسوّرُ عليها من أحد. ولهذا سيتمكّن بطل (اللؤلؤة) من الاندفاع إلى الأمام كما سبَقَ أنْ ذكرنا.

ولهذا وجدنا (شتاينبك) يصف عودة (كينو) و(جوانا) بهذه العبارات الجديرة بالتأمّل: "مشى كينو وجوانا خلال المدينة كما لو لم تكن المدينة موجودة بالنسبة إليهما، لم تلقِ عيونهما أية نظرة، لا إلى اليمين ولا إلى اليسار ولا إلى الأعلى ولا إلى الأسفل، ولكنهما حَدّقا أمامهما مباشرة. تحركت أرجلهما مهتزّة قليلا كدمى خشبية حسنة الصنع حامليْن أعمدة من خوف أسود حولهما. وبينما كانا يسيران خلال مدينة الحجارة والجص، اختلس سماسرة المدينة النظر إليهما من وراء النوافذ المقضّبة، وتلصّص الخدم بعين واحدة وضعوها على البوابة المشقوقة.. خطا كينو وجوانا جنبا إلى جنب عبر مدينة الحجارة والجص ثم اتّجها إلى منازل الأغصان وارتد الجيران إلى الخلف وأفسحوا لهما الطريق... وفي أذنيْ كينو صدحت أغنية العائلة عنيفة كصرخة. كان مُحصّنا ورهيبا. وأصبحتْ أُغنيتهُ صرخةَ معركة"(ص١٠٣-١٠٤).

وهكذا نلاحظ أن (كينو) الذي خسر وحيده (كويوتيتو) كسب هيبته وأمنه، وكسب روحه وإرادته، فقد استبدل بلؤلؤته، بندقية، أو قل استبدلَ بقدره إرادته، ولهذا صارت أعمدة الخوف الأسود تحيق به وبزوجته. ولهذا صار السماسرة